القسم الثاني: شوقٌ ووصف

الجزء الأول: التشوق للأهل

كان الشيخ عبدالله بن علي في طريقه عائداً من الحج ومن زيارة للمسجد النبوي ، فلما لم يكن بينه وبين بَلَدِه إلا ليلة، قال شوقاً:

تـــــــذكرني نجـــــــوم الليـــــــل أهلـــــــي ... لأنـــــــي فـــــــي منـــــــازلهم أراهـــــــا

تســـــــامرني حـــــــديثهم، فأصـــــــغي ... بســـــــمعي مثلمـــــــا كلمـــــــت فاهـــــــا

يقـــــــول فتـــــــى: ســـــــآتي دار أهلـــــــي ... ومـــــــا نشـــــــب الفتـــــــى حتـــــــى أتاهـــــــا

فســـــــالت عبرتـــــــي، وجـــــــرت دمـــــــوعي ... لفقـــــــد أحبتـــــــي، والقلـــــــب تاهـــــــا

فقلـــــــت لـــــــه: تعـــــــال فـــــــإن ربـــــــي ... تعـــــــالى لـــــــم يـــــــزل بـــــــرا إلهـــــــا

يبلـــــــغ مـــــــن يشـــــــاء، فكـــــــم غريـــــــب ... يرجـــــــي خطـــــــة قصـــــــوى خطاهـــــــا

خليلـــــــي قـــــــد أضـــــــر بـــــــي التنـــــــائي ... فهـــــــل لـــــــي رجعـــــــة أرجـــــــو شـــــــفاها؟

شـــــــفاء لا يغـــــــادر لـــــــي ســـــــقاماً ... إذا ناجيـــــــت أحبـــــــابي شـــــــفاها

لقـــــــد غـــــــادرت فـــــــي هجـــــــر فـــــــؤادي ... وإن أصـــــــبحت فـــــــي أرض ســـــــواها

بهـــــــا أهلـــــــي وجيرانـــــــي وصـــــــحبي ... ســـــــقاها الله مـــــــن بلـــــــد ســـــــقاها

الجزء الثاني: مراجعة الحمام

هذه أبيات قاله الشيخ في مراجعة الحمام :

يـــــــا حمـــــــام الأيـــــــك زدنـــــــي ... مـــــــن هنيهـــــــات الســـــــفاه

حيهـــــــل إن كنـــــــت خـــــــدني ... تقتـــــــرب خلـــــــف الميـــــــاه

كـــــــل ذي شـــــــوق عليـــــــه ... مـــــــن جميـــــــع النـــــــاس نـــــــاه

لســـــــت أخشـــــــاهم ولكـــــــن ... لا أرى إســـــــقاط جـــــــاهي

هدهـــــــد الأخبـــــــار صـــــــف لـــــــي ... مـــــــــــوردا بـــــــــين الشـــــــــفاه

هـــــــل تـــــــرى الحـــــــي عليـــــــه ... بـــــــــات منبـــــــــث الجبـــــــــاه

حولـــــــــــــه روض أريـــــــــــض ... بعمـــــــــــــيم النبـــــــــــت زاه

غنـــــــــــت الطيـــــــــــر عليـــــــــه ... فهـــــــــــو ملهـــــــــاة لـــــــــلاه

يـــــــــا خليلـــــــــي اســـــــــقياني ... بـــــــــين هاتيـــــــــك الملاهـــــــــي

قهـــــــوة قـــــــد وصـــــــفت لـــــــي ... ريقـــــــه الســـــــاقي كمـــــــا هـــــــي

لـــــــم أذقهـــــــا غيـــــــر أنـــــــي ... قـــــــال لـــــــي وجـــــــدي كـــــــذا هـــــــي

نـــــــام طـــــــرف الـــــــدهر عنـــــــا ... نومـــــــة بعـــــــد انتبـــــــاه

فانهـــــــب اللـــــــذات منـــــــه ... لا أراك اليـــــــوم ســـــــاه

إنمـــــــا الـــــــدنيا متـــــــاع ... لا تكـــــــن فيهـــــــا مبـــــــاه

عـــــــيش رب التـــــــاج فيهـــــــا ... عـــــــيش ربـــــــات الشـــــــياه

كلهـــــــم يشـــــــقى بهـــــــم ... حـــــــاذراً وقـــــــع الـــــــدواهى

لا تـــــــرم كشـــــــفي ودعنـــــــي ... خلـــــــف أســـــــتار اشـــــــتباه

ولما أنشأ الشيخ عبدالله هذه القصيدة ، كتب له أحد الأدباء كتاباً يتضمن عتبه عليه في بث شكواه إلى الحمام ، فأجابه بقوله:

عـــــلام أخـــــي نقضـــــت علـــــي حتـــــى ... حســـــبتك لا تـــــروم ســـــوى خلافـــــي

أليســـــت حرمـــــة الآداب بينـــــي ... وبينـــــك تقتضـــــي حســـــن التصـــــافي

فلـــــو ألفيـــــت غيـــــرك رام منـــــي ... مرامـــــك لـــــم أقـــــل دعنـــــي كفـــــافي

لأجريـــــت اليـــــراع إليـــــه صـــــلا ... يمـــــج عليـــــه بالســـــم الزعـــــاف

ولكنـــــــــي بعيـــــــد الغـــــــور أقضـــــــي ... بعـــــــذر مقصـــــــر عنـــــــي وجـــــــاف

وفـــــــي بحـــــــر الغـــــــرام كرعـــــــت لمـــــــا ... أطـــــــاف القـــــــوم حـــــــولي بالنطـــــــاف

وفـــــــي شـــــــرع الهـــــــوى العـــــــذري عنـــــــدي ... علـــــــوم لـــــــيس لـــــــي فيهـــــــا مكـــــــافي

ولـــــــي فيهـــــــا أســـــــانيد صـــــــحاح ... مسلســـــــلة بفتيـــــــان العفـــــــاف

تـــــــرى قيســـــــاً يســـــــير علـــــــى ورائـــــــي ... تـــــــرف علـــــــي ألويـــــــة الظـــــــراف

إذا مـــــــا ســـــــرت يومـــــــاً فـــــــي طريـــــــق ... فمـــــــا لـــــــي فـــــــي طريقـــــــي مـــــــن مـــــــواف

فقـــــــل لـــــــي بـــــــا ابـــــــن ودي كيـــــــف تغـــــــدر ... تعارضـــــــني معارضـــــــة المنـــــــافي

وهـــــــل أســـــــرقت أن نادمـــــــت ورقـــــــاً ... تعللنـــــــي بكاســـــــات الســـــــلاف

تفـــــــوت كشـــــــاجماً لطفًـــــــا إذا مـــــــا ... تغنـــــــت بـــــــالخفيف مـــــــن القـــــــوافي

إذا نازعتهـــــــا شـــــــجواً تولـــــــت ... توجـــــــع لـــــــي بأحشـــــــاء ضـــــــعاف

وقـــــــبلاً لـــــــم أزل أرتـــــــاد شـــــــكلاً ... لحفـــــــظ العهـــــــد والأســـــــرار واف

وأعـــــــوزني فلمـــــــا لـــــــم أجـــــــده ... خطبـــــــت الـــــــود مـــــــن ورق الفيـــــــافي

فـــــــأن أســـــــعفت يـــــــا ورق انتزحنـــــــا ... حـــــــذار الكاشـــــــحين وراء قـــــــاف

أرى تلـــــــك الـــــــديار وســـــــاكنيها ... طلـــــــولاً وطنـــــــت فيهـــــــا العـــــــوافي

فـــــــإني لا أرى إلا بليـــــــداً ... بعيـــــــد فهمـــــــه عـــــــن كـــــــل خـــــــاف

فـــــــدعني والـــــــتمس غـــــــرا مقيمـــــــاً ... علـــــــى حـــــــرف يـــــــؤول إلـــــــى انحـــــــراف

فلـــــــي شـــــــأن عـــــــن الأغيـــــــار مغـــــــنٍ ... ولـــــــي شـــــــغل عـــــــن الأشـــــــعار كـــــــاف

فهـــــــذا مـــــــا منحتـــــــك مـــــــن عتـــــــابي ... وإنـــــــي بعـــــــد هـــــــذا عنـــــــك عـــــــاف

الجزء الثالث: مختارات في الوصف

قال يصف وردة:

خليلي ما أبهى وأبهج هذه ... وأبهج منها وردة الوجنات

يقطف هذا بالبنان وإنما ... يقطف ذاك الورد بالشفيات

رعى الله جانيه وإن كان قد جنى ... علي بما أبداه من حسراتي

على رغم من أهوى جنته جناته ... ينم على ماصين في الخمرات

فيما من لقلب لا يزال يشوقه ... بشير الصبا من يوسف الفتيات

يكاد إذا الأشواق أوقدن تحته ... يسيل مع الأرواح كل غداة

وقال في تمر يسمى الخلاص، وهو من أجود أنواع التمر:

وغانية عصيت اللوم فيها ... فما لي من هواها من مناص

فكم أجني لذيذا من جناها ... أحب إلى من رطب الخلاص

تقول جنيت بالتقبيل فاغرم ... فقلت لها هلم إلى القصاص

جزاء الحق مثلي بمثل ... فقالت قد عفوت على الخلاص

لعمري أنت يعقوب القضايا ... وإنك في الدها عمرو بن عاص

وله أيضا، في تناول قهوة البن قبل الصباح:

أدرها علي قبيل الصباح ... يمانية واسقنيها صراح

سـلاف مـن الـبن تـذكي البليـد ... وتنطقـه نطـق قسـم الفصـاح

مشعشـعة مثـل نـار الهـوى ... قـد اقتبسـت مـن خـدود المـلاح

علـى كاسـها يـا فتـى غنني ... قطعـت الفـلاة لوصـل الفـلاح

أعـاريض ممـا أجـاز الخليـل ... ولـم تتجـاوز رسـوم الصـحاح

مطـرزة بطـراز البـديع ... بـديع الزمـان لهـا ذو انطـراح

وقال، حينما طلقت زوجته، لثبوت رضاع بينهما:

ألا أيهـا البـاكي علـى إلفـه لمـه ... فكـل هبـات الـدهر غيـر متممـه

رضـاع بأيـام الفطـام اسـتفدته ... علـى فاقـة مـن غيـر عـار ومأثمـه

ومـا أنـت إلا صـائم فـي صـيامه ... سـقاه إلـه العـالمين وأطعمـه

وقال، رحمه الله تعالى، يصف اجتماعاً في نخل يسمى المنقشة:

تـذكرت يـومي فـي عـريض المنـاقش ... ومـا كـان فيـه مـن لذيـذ المعـايش

نـدامى كأمثـال المرايـا صـدورهم ... جلوسـا علـى مبسـوط تلـك المفـارش

إذا مـا تنازعنـا الحـديث تناولوا ... بألسـنة منطوقهـا غيـر فـاحش

يـدير علينـا الـراح سـاق مـدرب ... بكـأس لأرواح المحبـين نـاعش

وله، رحمه الله، في الشاهي "الشاي":

ألا يـا صـاح إن شـئت انتظامـا ... بسـلك المصـطفين مـن النـدامى

فقـرب صـافي الشـاهي كؤوسـا ... مـن البلـور مترعـة غرامـا

إذا نالـت شـفاه القـوم منهـا ... أقـامتهم مـن الحسـنى مقامـا

يصـــــــــافح كـــــــــل حـــــــــوذان ورنـــــــــد وينتـــــــــــــاب المحـــــــــــــرق والمنامـــــــــــــا

فـــــــنعم شـــــــراب أنـــــــس حـــــــين نلهـــــــو علـــــــــى الأخـــــــــرى اليمانيـــــــــة الســـــــــلاما